تضمين الآيات القرآنية النازلة في الإمام علي (ع) في خطبة الغدير لرسول الله (ص)

م. م أحمد جاسم ثاني الركابي
كلية التربية ـ القرنة/ جامعة البصرة

المقدمة:

لازالت مفردات الغدير والبيعة والولي والولاية والخلافة وعيد الله الأكبر..... إلخ، من المفردات الغضة الصالحة للبحث والدراسة، ولاسيما إذا كان البحث في التراث الإسلامي الأصيل المتمثل بالقرآن الكريم، وأدب المعصومين (ص) الذي تنوع بين خطب ورسائل وأدعية وأحاديث وغيرها، وهذا البحث محاولة لدراسة فن بلاغي لطيف، وهو فن التضمين، الذي وظّفه رسول الله (ص) للاستدلال على حق الإمام علي (ع) في خطبته المعروفة بخطبة الغدير، مما أضفى على الخطبة مزيداً من جمال اللفظ إلى جانب جمال المعنى، وأسهم في إنارة النص دلالياً، وقد اقتصر البحث على تضمين الآيات النازلة في الإمام علي (ع) دون غيرها ابتعاداً عن الإطالة: لأن التضمين القرآني الوارد في هذه الخطبة كثير جداً، ومن جهة أخرى فإن غاية البحث هي الكشف عن مدى ارتباط قضية الولاية بالقرآن الكريم، فيكتفي بالآيات التي نصّت على فضائل أمير المؤمنين (ع) وفسرها رسول الله (ص) فيه.

تعريف التضمين لغةً واصطلاحاً:

التضمين لغةً: تضمَّن يتضمّنُ، تضمناً، فهو متضمِّن، والمفعول مُتَضَمَّن، تقول: تضمَّن الوعاءُ الشيءَ ضمِنه، بمعنى: احتواه واشتمل عليه، وضمَّن يُضمِّن، تضميناً، فهو مضمِّن، والمفعول مُضمَّن، تقول: ضمَّن الشاعرُ: أي أتى بالتضمين في شعره، وهو أن يأخذ شطراً من شعر غيره بلفظه ومعناه ويدخله في شعره، و"التضمين" مصدر الفعل "ضَمَّنَ"، وهو نصٌّ يأخذه الشاعر أو الناثر ويدخله في قصيدته أو مقالته بلفظه ومعناه، أو بمعناه دون لفظه، ويوظفه في سياق عمله الأدبي[1].

التضمين اصطلاحاً: (هو إحداث علاقة بين طرفين من خلال جعل أحدهما مقتبساً أو متضمِّناً لدلالة الآخر، متمثّلة في متن مقروء أو مسموع مثل: آية قرآنية أو حديث أو مَثَلٍ أو شعر أو حادثة... إلخ)[2].

---

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، (ضمن): ١٣٧٠ ـ ١٣٧١.

(٢) القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني: ٢١٧.

فن الخطبة:

الخطبة: (شكلٌ يعتمد (العنصر العاطفي) في أداته التعبيريّة: نظراً للطبيعة التي تنطوي عليها وظيفة الخطبة. إنها كلمة ارتجاليّة أو مكتوبة تُلقى على (حشد) خاص أو عام يُفرض فيها أنْ يستثير الجمهور وتجعلهم (منفعلين) بشدّة الموقف الذي يستهدفه الخطيب: كالحث على الجهاد مثلاً)[١]. ويخضع بناء الخطبة لما يأتي[٢]:

١ - **من حيث اللغة:** ينبغي أن يستعمل الخطيب ضمير المخاطب تارةً، وينتقل إلى ضمير المتكلّم تارةً أخرى: لأن الخطيب - وهو متكلّم - يمكنه أن يحوّل عواطف المخاطبين إلى عواطف مشتركة بينه وبينهم.

٢ - **من حيث الإيقاع (الصوت):** ينبغي اختيار الألفاظ والتراكيب المتّسمة بالفخامة والدويّ والصخب ونحوها من العبارات المثيرة.

٣ - **من حيث الصور:** ينبغي التقليل من العنصر الصوري إلا في حالات نادرة يتطلبها السياق، وحينئذٍ عليه أن يختار الصورة المألوفة ويبتعد عن الصور الغامضة.

٤ - **من حيث البناء:** ينبغي أن يتدرّج بعواطف الجمهور، فينتخب من المواقف ما يُهيّئ أولاً جواً تمهيدياً مناسباً للانفعال، ثم يتصاعد تدريجياً إلى المواقف الأخرى حتى ينتهي إلى قمّة الإثارة العاطفية.

٥ - **من حيث الحجم:** لابد أن يكون حجمها محدوداً، لتحتفظ بحرارة الإثارة العاطفية.

الرسول المصطفى (ص) وفن الخطبة:

يمثّل كلام الرسول المصطفى (ص) قمةَ الفصاحةِ والبلاغةِ العربية بعد كتاب الله تعالى على الإطلاق، وهو القائل: (أَنَا أَفْصَحُ العَرَب، بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْش)[٣]، وقد عُرِفَ عن العرب أنهم أهل خطابة، إذ كانت الخطابة - إلى جانب الشعر - في زمن الجاهلية والإسلام تمثّل ميداناً يتبارى فيه العرب لإبراز قدراتهم اللغوية، فمن الطبيعي أن يكون رسول الله (ص) - وهو أفصح العرب - بارعاً في هذا اللون الأدبي، وهو (ص) (حينما جاء برسالة الإسلام إنما تمَّ ذلك من خلال القرآن الكريم الذي جسَّد معجزةً أدبية، ومن خِلال أحاديثه وخُطَبه التي جاءت متسمة بالكمال الأدبي حيث صرّح (ص) بأنه أفصح العرب، وهذا يعني أن كلاً من أدب القرآن الكريم والأدب النبوي، قد فرض نفسه على الساحة الأدبية، بحيث انعكس أثرهما على الأدباء)[٤].

---

(١) المصدر نفسه: ٢٩٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٩٤.

(٣) المعارف، ابن قتيبة الدينوري: ١٣٢.

(٤) مختصر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني: ٣٠.

ولم يكن بلوغه الذروة في فن الخطابة تعلّماً من ذي علم، وإنما علمه لدنّي من الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾[1]، وحين يهتم بهذا الفن لم يكن اهتمامه من أجل الفن، وإنما يسخّره للدعوة الإسلامية ومن أجلها، فالخطبة النبوية وسيلةُ دعوةٍ هادفة لا غاية في نفسها: لذا فإن أثر القرآن الكريم يبدو واضحاً فيها، فكثيراً ما تتضمن خطبه (ص) ألفاظاً وتعابير ومعانٍ قرآنية، بل آيات من القرآن الكريم، (فقد كان الاستشهاد بالآيات القرآنية، من أبرز الملامح الفنية للخطابة النبوية، إذ كان الرسول العظيم (ص)، هو الرائد الأول في تضمين جل خطبه آياتٍ بيناتٍ من القرآن الكريم[2]، وهذا التضمين القرآني له أشد الأثر في المتلقين، ويمثّل عنصراً مهماً من عناصر الخطبة البليغة، وبناءً على ذلك (تظل خطب الرسول (ص) حافلة بأشد أنواع الإثارة العاطفية بالنسبة إلى الجمهور، وليس بالنسبة إلى النبي (ص)؛ لأن النبي (ص) يعتمد البُعد العقلي في تعامله مع الله تعالى ويحيي مبادئ الله في كيانه أجمع، أما البُعد العاطفي فيستثمره (ص) من أجل الناس، أي أنه يخاطبهم بلغتهم وعواطفهم لا بعاطفته ولغته...)[3].

الغدير والقرآن الكريم:

ارتبط الغدير بالقرآن الكريم أشد الارتباط: لأنه يمثل قضيةً في بالغ الأهمية من الشريعة الإسلامية، ألا وهي (الخلافة الكبرى) التي بها كَمُل الدين وتمّت النعمة.

وقد شاء الله تعالى أن تبقى هذه النعمة غضةً لا تبليها الدهور، ولا يأتي على جدتها مر الحقب والأعوام، فأنزل فيها آياتٍ ناصعة البيان، ترتّلها الأمة صباحاً ومساءً، فكأنه سبحانه في كل ترتيلة لأي منها يلفت نظر القارئ، وينكت في قلبه، أو ينقر في أذنه ما يجب عليه أن يدين الله تعالى به في باب خلافته الكبرى، فمن الآيات الكريمة قوله تعالى[4]:

١ - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[5].

٢ - ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[6].

---

(١) النجم: ٣ - ٥.

(٢) خُطَب الرسول الكريم محمد (ص) دراسة توثيقية تحليلية، رسالة ماجستير، مصعب نوري محمود العزاوي، كلية التربية - ابن رشد - جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص: ٩٥.

(٣) أدب الشريعة الإسلامية، د. محمود البستاني: ١٢٦.

(٤) ينظر: الغدير، الشيخ الأميني: ٢١٤/١، وينظر: آيات نزلت في الإمام علي "ع"، الشيخ مكارم الشيرازي: ١١ - ٢٧ - ٣٣.

(٥) المائدة: ٦٧.

(٦) المائدة: ٣.

اسم الخطبة:

هي خطبة الغدير، وسميّت بهذا الاسم نسبة إلى (غدير خم)[١]، وهو المكان الذي وقف قربه رسول الله (ص) وألقى فيه خطبته، وأخذ فيه البيعة لأمير المؤمنين (ع)، ولفظة (الغدير) في اللغة تعني (القطعة من الماء يغادرها السيل، أي يتركها)[٢]. وتُسمى أيضاً خطبة العهد؛ لأن أمر الولاية عهدٌ معهود من الله تعالى إلى رسوله الكريم (ص).

مقاصد النبي (ص) في خطبة الغدير:

تتلخص أهم مقاصد النبي (ص) في خطبة الغدير بالأمور الآتية[٣]:

١ ـ ضمان استمرار خط النبوة وعدم ضياع ثمرات أتعاب النبي (ص)، وذلك بتعيين من يتولى حمل الأمانة وإدامة المسيرة النبوية.

٢ ـ بيان النبي (ص) للأمة أن مسؤولية حفظ الإسلام وأمته تقع على عاتق خلفاء النبوة الذين اختارهم الله تعالى، والذين لهم الكفاءة التامة لأداء مهمّتهم.

٣ ـ تعيين الخليفة تعييناً رسمياً على سنة الله في أنبيائه (ص).

٤ ـ رسم المنهج السياسي للمسلمين إلى يوم القيامة.

٥ ـ إتمام الحجة على المخالفين، المقصرين منهم والمعاندين.

وهذا ما جعل يوم الغدير يوماً خالداً، وحادثة فريدة في تاريخ الإسلام، ومن أجل هذا كان تأكيد النبي (ص) له كبيراً[٤]، إذ وقف في وسط الصحراء تحت رمضاء الحجاز في حرارة الهجير منادياً القوافل قبل فوات الأوان أن لا يفترق منهم أحد، ويعجّل المتأخر منهم، فإن في الأمر خطر عظيم لا يقبل التأخير ولا يحتمل التهاون: لأن فيه مستقبل الأمة إلى قيام يوم الدين، بل في الأمر حصاد الماضي وحياة الحاضر ومستقبل الآتي[٥]، وكما قال الإمام الباقر (ع): (بُني

---

(١) (تقع منطقة "غدير خم" في صحراء فسيحة على مسير السيول في وادي "الجحفة"، حيث يجري هذا المسيل من الشرق إلى الغرب في الشتاء، ويمرُّ بمنطقة الغدير، ثم ينتهي منه إلى الجحفة ثم منه إلى البحر الأحمر فيصب فيه. وفي مسير هذه السيول تتولد بعض الواحات والغدران الطبيعية من تجمع المياه المتبقّية في مخازن طبيعية للمياه طيلة العام، ويطلق على كل واحدة منها اسم "الغدير". وهناك العديد من الغدران في الحجاز. ويتميز "غدير خم" بأن ماءه كثير، ويوجد نبع صغير قربه من جبل صغير، وتوجد حوله خمسة أو ستة أشجار صحراوية خضراء كبيرة من نوع "السَمُر" صارت بأغصانها الكثيفة وقامتها الباسقة مكاناً ظليلاً في تلك الصحراء، فاتخذوها مكاناً لنزول النبي (صلى الله عليه وآله) ونصبوا له المنبر فيه). بيعة الغدير، محمد باقر الأنصاري: ٢٠ ـ ٢١.

(٢) لسان العرب، ابن منظور: ٩/٥.

(٣) ينظر: بيعة الغدير: ٧ ـ ٨.

(٤) ينظر: بيعة الغدير: ٨.

(٥) ينظر: الغدير رحلة التاريخ والمستقبل، الحاج أحمد مصري: ١٠١.

الإسلام على خمس: الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية يوم الغدير)[١].

البناء الفني للخطبة:

تميّز الخطاب النبوي برصانة البناء وجمال العبارة ودقة التركيب، ومن يقرأ خطبة الغدير يلاحظ أنها قد رُوعي فيها ترتيب الموضوعات، وخضعت لبناء فني يقوم على الإحكام والإمتاع[٢].

فاستُهلت بالتحميد والتمجيد والشهادة بوحدانية الله تعالى: (الْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَلا فِي تَوَحُّدِهِ، وَدَنا فِي تَفَرُّدِهِ، وَجَلَّ فِي سُلْطانِهِ، وَعَظُمَ فِي أَرْكانِهِ، وَأَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً وَهُوَ فِي مَكانِهِ... وَأَشْهَدُ أَنَّهُ اللهُ الَّذِي مَلاَ الدَّهْرَ قُدْسُهُ، وَالَّذِي يَغْشَى الأَبَدَ نُورُهُ، وَالَّذِي يُنْفِذُ أَمْرَهُ بلا مُشاوَرَةِ مُشِير، وَلا مَعَهُ شَرِيكٌ فِي تَقْدِيرِهِ، وَلا يُعاوَنُ فِي تَدْبِيرِهِ...)[٣].

ثم التمهيد للدخول إلى موضوع الخطبة:

(وَأُقِرُّ لَهُ عَلى نَفْسِي بِالْعُبُودِيَّةِ وَأَشْهَدُ لَهُ بالرُّبُوبِيَّةِ، وَأُؤَدِّي ما أَوْحَى بِهِ إِلَيَّ حَذَراً مِنْ أَنْ لا أَفْعَلَ فَتَحِلَّ بي مِنْهُ قارِعَةٌ... لأَنَّهُ قَدْ أَعْلَمَنِي أَنِّي إِنْ لَمْ أُبَلِّغْ ما أَنْزَلَ إِلَيَّ فِي حَقِّ عَلِيٍّ فَما بَلَّغْتُ رِسالَتَهُ، وَقَدْ ضَمِنَ لِي ـ تَبارَكَ وَتَعالى ـ الْعِصْمَةَ مِنَ النَّاسِ، وَهُوَ اللهُ الْكافِي الْكَرِيمُ)[٤].

بعد ذلك الانتقال إلى موضوع الخطبة الرئيس:

(فَأَوْحَى إِلَيَّ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ ـ فِي عَلِيٍّ، يعني فِي الخلافة لعليّ بن أبي طالب ـ ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾. مَعاشِرَ النَّاسِ، ما قَصَّرْتُ فِي تَبْلِيغِ ما أَنْزَلَ اللهُ تَعالى إِلَيَّ، وَأَنا أُبَيِّنُ لَكُمْ سَبَبَ هذِهِ الآيَةِ: إِنَّ جَبْرَائِيلَ هَبَطَ إِلَيَّ مِراراً ثَلاثاً يَأْمُرُنِي عَنِ السَّلامِ رَبِّي ـ وَهُوَ السَّلامُ ـ أَنْ أَقُومَ فِي هذا الْمَشْهَدِ فَأُعْلِمَ كُلَّ أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أبي طالِب أَخِي، وَوَصِيِّي، وَخَلِيفَتِي عَلى أُمَّتِي، وَالإِمامُ مِنْ بَعْدِي، الَّذِي مَحَلُّهُ مِنِّي مَحَلُّ هارُونَ مِنْ مُوسَى إِلاَّ أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي...)[٥].

وأما بقية الخطبة فقد انتظمت في مقاطع عدة، يُفتتح كل واحد منها بعبارة "معاشر الناس"، وكل مقطع يتضمن موضوعاً محدداً، يجمعها خيط فكري واحد وهو "الولاية الكبرى".

---

(١) الكافي، الشيخ والكليني: ٢/٢١.

(٢) ينظر: أدب الشريعة الإسلامية: ١٢٩.

(٣) نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير، أمير التقدمي المعصومي: ٦٥ ـ ٦٦.

(٤) نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٦٧.

(٥) المصدر نفسه: ٦٧ ـ ٦٨.

التضمين القرآني في الخطبة ودلالاته:

من الملفت للنظر أن هذه الخطبة المباركة تكثر فيها التضمينات القرآنية، إذ لا تجد فيها مقطعاً يخلو من معنى أو لفظ قرآني أو آية صريحة، ويمكن أن نعزو ذلك إلى عدة أسباب، منها:

١ ـ إن طبيعة الموضوع الذي تستهدفه الخطبة هو أمر في بالغ الأهمية كما قلنا من قبل، فقد وردت عدة آيات في القرآن في هذا الموضوع.

٢ ـ كما أن صاحب البيعة الإمام علي (ع) له علاقة حميمة بالقرآن الكريم، ونزلت بحقه آيات كثيرة في القرآن[١]، حتى قال فيه رسول الله (ص): (علي مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض)[٢].

٣ ـ ومنها أيضاً إن رسول الله (ص) في صدد إبلاغ أمر يحتمل أن يتعرّض للتكذيب والعياذ بالله، وقد صرّح رسول الله (ص) بذلك في الخطبة نفسها: (وَسَأَلْتُ جَبْرَئِيلَ أَنْ يَسْتَعْفِيَ لِيَ السَّلامَ عَنْ تَبْلِيغِ ذلِكَ إِلَيْكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ لِعِلْمِي بِقِلَّةِ الْمُتَّقِينَ وَكَثْرَةِ الْمُنافِقِينَ وَإِدْغالِ اللاَّئِمِينَ وَحِيَلِ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالإِسلام، الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ فِي كِتابِهِ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَيَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ)[٣]، ويؤكد ذلك أنه (ص) طلب من الله تعالى أن يعصمه من الناس: لذلك جاءه الجواب: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[٤]. وما التضمين القرآني والاستدلال بآيات القرآن الكريم إلا وسيلة ودليل قاطع لإثبات صدق مدعاه، وأحقية هذا الأمر، وأنه أمر مباشر من الله تعالى لا من عنده.

ومن التضمين الذي يصب في خدمة الموضوع المستهدف ما يأتي:

١ ـ الإمام علي (ع) ولي المؤمنين:

(إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أبي طالِب أَخِي، وَوَصِيِّي، وَخَلِيفَتِي عَلى أُمَّتِي، وَالإِمامُ مِنْ بَعْدِي، الَّذِي مَحَلُّهُ مِنِّي مَحَلُّ هارُونَ مِنْ مُوسَى إِلاَّ أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَهُوَ وَلِيُّكُمْ بَعْدَ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ ـ تَبارَكَ وَتَعالَى ـ عَلَيَّ بِذلِكَ آيَةً مِنْ كِتابِهِ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٥]، وَعَلِيُّ بنُ أبي طالِب الَّذِي أَقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ وَهُوَ راكِعٌ يُرِيدُ اللهَ ـ عزّ وجلّ ـ فِي كُلِّ حال)[٦].

---

(١) للمزيد من الاطلاع على هذا الموضوع، راجع كتاب (آيات نزلت في الإمام علي "ع") لمكارم الشيرازي.

(٢) المعجم الأوسط، الطبراني: ١٣٥/٥.

(٣) نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٦٨.

(٤) المائدة: ٦٧.

(٥) المائدة: ٥٥.

(٦) نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٦٧ ـ ٦٨.

٢ ـ تبليغ الخلافة أمر إلهي:

(وَكُلُّ ذلِكَ لا يَرْضَى اللّهُ مِنِّي إلاّ أَنْ أُبَلِّغَ ما أَنْزَلَ اللّهُ إِلَيَّ فِي حَقِّ عَلِيٍّ، ثمّ تلا: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ في حقِّ عليٍّ ـ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1][2].

٣ ـ علي (ع) هو الإمام المبين:

(مَعاشِرَ النّاسِ، فَضِّلُوهُ، ما مِنْ عِلْمٍ إلاّ وَقَدْ أَحْصاهُ اللّهُ فِيَّ، وَكُلُّ عِلْمٍ عُلِّمْتُ فَقَدْ أَحْصَيْتُهُ فِي إمامِ الْمُتَّقِينَ، وَما مِنْ عِلْمٍ إلاّ وَقَدْ عَلَّمْتُهُ عَلِيّاً، وَهُوَ الإمامُ الْمُبِينُ الَّذي ذَكَرَهُ اللّهُ فِي سُورَةِ يس: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[3])[4].

٤ ـ علي (ع) يهدي إلى الحق ويُزهق الباطل:

(مَعاشِرَ النّاسِ، لا تَضِلُّوا عَنْهُ، وَلا تَنْفِرُوا مِنْهُ، وَلا تَسْتَنْكِفُوا مِنْ وِلايَتِهِ، فَهُوَ الَّذي يَهْدِي إلى الْحَقِّ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيُزْهِقُ الْباطِلَ وَيَنْهَى عَنْهُ، وَلا تَأْخُذُهُ فِي اللّهِ لَوْمَةُ لائِمٍ)[5]. وهو تضمين لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[6].

٥ ـ عقوبة مَنْ أنكر ولاية علي (ع):

(مَعاشِرَ النّاسِ، إنَّهُ إمامٌ مِنَ اللّهِ، وَلَنْ يَتُوبَ اللّهُ عَلى أحد أَنْكَرَ وِلايَتَهُ وَلَنْ يَغْفِرَ لَهُ، حَتْماً عَلَى اللّهِ أَنْ يَفْعَلَ ذلِكَ بِمَنْ خالَفَ أَمْرَهُ، وَأَنْ يُعَذِّبَهُ عَذاباً نُكْراً أَبَدَ الأَبادِ وَدَهْرَ الدُّهُورِ، فَاحْذَرُوا أَنْ تُخالِفُوهُ فَتَصْلَوْا ناراً وَقُودُها النّاسُ وَالْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ)[7]. وهو تضمين لقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[8].

٦ ـ لعنة الله وغضبه على مَنْ عادى علياً (ع):

(أَلا إنَّ جَبْرائِيلَ خَبَّرَنِي عَنِ اللّهِ تَعالى بِذلِكَ وَيَقُولُ: « مَنْ عادَى عَلِيّاً وَلَمْ يَتَوَلَّهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَتِي وَغَضَبِي »، ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ـ أَنْ تُخالِفُوهُ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِها ـ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[9])[10].

---

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٦٨ ـ ٦٩.

(٣) يس: ١٢.

(٤) نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٦٩ ـ ٧٠.

(٥) نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٧٠.

(٦) الإسراء: ٨١

(٧) نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٧٠.

(٨) البقرة: ٢٤.

(٩) من الآية: ١٨ من سورة الحشر، والآية: ٩٤ من سورة النحل.

(١٠) نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٧١.

٧ ـ علي (ع) هو جَنْبُ الله:

(مَعاشِرَ النّاسِ، إنَّهُ جَنْبُ اللهِ الّذي ذَكَرَ فِي كِتابِهِ الْعَزِيزِ، فَقالَ تَعالَى ـ مُخْبِراً عَمَّنْ يُخالِفُهُ ـ : ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾[١])[٢].

٨ ـ علي (ع) مفسر القرآن:

(مَعاشِرَ النّاسِ، تَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ وَافْهَمُوا آياتِهِ، وَانْظُرُوا إلى مُحْكَماتِهِ وَلا تَتَّبِعُوا مُتَشابِهَهُ، فَوَاللهِ لَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ زَواجِرَهُ وَلَنْ يُوضِحَ لَكُمْ تَفْسِيرَهُ إلاّ الّذي أَنَا آخِذٌ بِيَدِهِ وَمُصْعِدُهُ إلَيَّ وَشائِلٌ بِعَضُدِهِ وَرافِعُهُ بِيَدَيَّ...)[٣]. وهو تضمين لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٤].

٩ ـ بولايته (ع) كَمُلَ الدينُ وتمّت النعمة:

(اللّهُمَّ إنَّكَ أَنْزَلْتَ الآيَةَ فِي عَلِيٍّ وَلِيِّكَ عِنْدَ تَبْيِينِ ذلِكَ وَنَصْبِكَ إيّاهُ لِهذَا الْيَوْمِ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[٥]، وَقُلْتَ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[٦]، وَقُلْتَ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[٧]. اللّهُمَّ إنِّي أُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ بَلَّغْتُ)[٨].

١٠ ـ تحذير مَنْ لم يأتم به وبالأئمة من بعده (ص) :

(فَمَنْ لَمْ يَأْتَمَّ بِهِ وَبِمَنْ يَقُومُ مَقامَهُ مِنْ وُلْدِي مِنْ صُلْبِهِ إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ... فَأُولئِكَ الّذينَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَفِي النّارِ هُمْ خالِدُونَ ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾[٩][١٠]).

١١ ـ منزلة علي (ع) في القرآن الكريم:

(وَما نَزَلَتْ آيَةُ رِضىً فِي الْقُرْآنِ إلاّ فِيهِ، وَلا خاطَبَ اللهُ الّذينَ آمَنُوا إلاّ بَدَأَ بِهِ، وَلا نَزَلَتْ آيَةُ مَدْحٍ فِي الْقُرْآنِ إلاّ فِيهِ، وَلا شَهِدَ اللهُ بِالْجَنَّةِ فِي ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ ﴾[١١] إلاّ لَهُ، وَلا أَنْزَلَها

---

(١) الزمر: ٥٦.

(٢) نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٧١.

(٣) نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٧١.

(٤) آل عمران: ٧.

(٥) المائدة: ٣.

(٦) آل عمران: ١٩.

(٧) آل عمران: ٨٥.

(٨) نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٧٣.

(٩) آل عمران: ٨٨.

(١٠) نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٧٣.

(١١) الإنسان: ١.

فِي سِواهُ، وَلا مَدَحَ بها غَيْرَهُ... وَفِي عَلِيٍّ ـ وَاللهِ ـ نَزَلَتْ سُورَةُ الْعَصْرِ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ = وَالْعَصْرِ = إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[1] إِلاَّ عَلِيٌّ الَّذِي آمَنَ وَرَضِيَ بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ)[2].

١٢ ـ عليٌّ (ع) نورٌ من الله تعالى:

(مَعاشِرَ النّاسِ، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[3]. مَعاشِرَ النّاسِ، آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذي أُنْزِلَ مَعَهُ[4]، ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾[5]، ... مَعاشِرَ النّاسِ، النُّورُ مِنَ اللهِ ـ عزّ وجلّ ـ مَسْلُوكٌ فِيَّ، ثُمَّ فِي عَلِيِّ بْنِ أبي طالِب، ثُمَّ فِي النَّسْلِ مِنْهُ إلى الْقائِمِ الْمَهْدِيِّ الَّذي يَأْخُذُ بِحَقِّ اللهِ وَبِكُلِّ حَقٍّ هُوَ لَنا)[6].

١٣ ـ علي (ع) الصابر الشاكر:

(مَعاشِرَ النّاسِ، أُنْذِرُكُمْ أَنِّي رَسُولُ اللهِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِيَ الرُّسُلُ، أَفَإِنْ مِتُّ أو قُتِلْتُ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شيئاً، وَسَيَجْزِي اللهُ الشّاكِرِينَ الصّابِرِينَ، أَلا وَإِنَّ عَلِيّاً هُوَ الْمَوْصُوفُ بِالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ وُلْدي مِنْ صُلْبِهِ)[7]. وهو تضمين لقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[8].

١٤ ـ علي (ع) الصراط المستقيم بعد رسول الله (ص):

(مَعاشِرَ النّاسِ، أَنا صِراطُ اللهِ الْمُسْتَقِيمُ الَّذي أَمَرَكُمْ باتِّباعِهِ، ثُمَّ عَلِيٌّ مِنْ بَعْدي، ثُمَّ وُلْدي مِنْ صُلْبِهِ أئمة الْهُدى، يَهْدُونَ إلى الْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ. ثمّ قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ...﴾[9] إلى آخرها، وقال: فِيَّ نَزَلَتْ وَفِيهِمْ ـ وَاللهِ ـ نَزَلَتْ، وَلَهُمْ عَمَّتْ وَإِيّاهُمْ خَصَّتْ، ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[10].

---

(١) العصر: ١ ـ ٢.

(٢) نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٧٤.

(٣) آل عمران: ١٠٢.

(٤) إشارة إلى الآية ٨ من سورة التغابن.

(٥) النساء: ٤٧.

(٦) نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٧٥.

(٧) نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٧٥.

(٨) آل عمران: ١٤٤.

(٩) الفاتحة: ١ ـ ٢.

(١٠) نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٧٧.

وأخيراً يصرّح رسول الله (ص) بأن فضائل الإمام علي (ع) عند الله كثيرة: (مَعاشِرَ النّاسِ، إنَّ فَضائِلَ عَلِيِّ بْنِ أبي طالِب عِنْدَ اللّهِ ـ عزّ وجلّ، وَقَدْ أَنْزَلَها فِي الْقُرآنِ ـ أَكْثَرُ مِنْ أنْ أُحْصِيَها فِي مَقام واحِد، فَمَنْ أَنْبَأَكُمْ بها وَعَرَفَها فَصَدِّقُوهُ)[1].

الخاتمة:

وفي الختام يمكن القول إن مسألة الخلافة والولاية هي مسألة قرآنية ولا تقبل أدنى شك، وقد استطاع رسول الله (ص) ببراعة أدبه وبلاغة أسلوبه أن يصوغها صياغة فنية في خطبته، ويرصّع هذه الخطبة بالآيات القرآنية النازلة في الإمام علي (ع)، المتضمنة فضائله، فجاء هذا التضمين متجانساً تماماً مع سياق الخطبة المباركة التي دارت حول محور فكري مفاده: عليٌ إمام وولي وخليفة بنص الكتاب والسنة. والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

مصادر البحث:

القرآن الكريم.

١ ـ أدب الشريعة الإسلامية، د. محمود البستاني، ط/١، ١٤٢٤ هـ، مؤسسة السبطين، العالمية، مطبعة محمد، قم.

٢ ـ آيات نزلت في الإمام علي (ع)، الشيخ مكارم الشيرازي، ط/١، ١٤٢٦ هـ، دار جواد الأئمة، بيروت ـ لبنان.

٣ ـ بيعة الغدير، محمد باقر الأنصاري، ط/١، ١٤٢٢ هـ، منشورات دليل ما، قم.

٤ ـ خُطَب الرسول الكريم محمد، دراسة توثيقية تحليلية، رسالة ماجستير، مصعب نوري محمود العزاوي، كلية التربية ـ ابن رشد ـ جامعة بغداد، ٢٠٠٤.

٥ ـ الغدير رحلة التاريخ والمستقبل، الحاج أحمد مصري، ط/١، ٢٠٠٣ م، دار الغدير، قم.

٦ ـ الغدير، الشيخ الأميني، ط/٤، ١٩٧٧ م، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.

٧ ـ القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني، ط/١، ١٤١٤هـ، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد ـ إيران.

٨ ـ الكافي، الشيخ والكليني، ط/٥، ١٣٦٣ ش، دار الكتب الإسلامية، طهران.

٩ ـ لسان العرب، ابن منظور، ط/١، ١٤٠٥ هـ، دار إحياء التراث العربي.

١٠ ـ مختصر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني، ط/١، ١٣٨١ ش، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، الأستانة الرضوية.

١١ ـ المعارف، ابن قتيبة الدينوري، ط/٢، ١٩٦٩ م، دار المعارف بمصر.

١٢ ـ المعجم الأوسط، الطبراني، (د.ط)، ١٤١٥ هـ، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع.

١٣ ـ معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، ط/١، ٢٠٠٨ م، عالم الكتب، القاهرة.

١٤ ـ نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير، أمير التقدمي المعصومي، ط/١، ١٤٢١ هـ، مؤسسة مولود الكعبة، بيروت. ❖

---

(١) المصدر نفسه: ٨٤.